

أوقاف سيدي علي بن المبارك في مدينة القليعة خلال الفترة العثمانية

(دراسة عينة أرشيفية من وثائق المحاكم الشرعية)

Charitable Trusts in Early Modern Algeria: The Waqfs of Sidi Ali ibn al-Mubarak in Koléa (Ottoman Period) through Shari'a Court Documentation

الدكتورة: صليحة بوزيد

أستاذة محاضرة أ

المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة

تاريخ الاستلام: 2026/08/12 تاريخ القبول: 2026/08/21 تاريخ النشر: 2026/08/26

الملخص:

إذا كانت المؤسسات الوقفية في الجزائر الأكثر أهمية وانتشاراً هي مؤسسة مكة والمدينة في العهد العثماني، فإن أوقاف سيدي علي بن المبارك كانت لها نفس الأهمية في مدينة القليعة، هذه المدينة المتميزة في تاريخها وعراقتها ولأسف الدراسات عنها تكاد تكون منعدمة خاصة تلك المتعلقة بالفترة العثمانية.

والقليعة مثل غيرها من المدن الجزائرية الشهيرة في الفترة العثمانية تاريخ يجدر بنا ان نطلع على بعض معالمه، إذ تأسست سنة 957هـ الموافق 1550 م من طرف حسن باشا بن خير الدين بربروس الذي حكم من 1544م إلى 1551م يقال انه قام بإنزال عددا من اللاجئين الأندلسيين الفارين من محاكم التفتيش وأسس بها بلدة القليعة القريبة من الساحل غرب مدينة الجزائر، وهي على رهوة وتحتها سهول مريحة الخصبة.

وبدون شك فان اختيار الأندلسيين لهذا الموقع كان ربما يعود التشابه مع موقع غرناطة، وورغبتهم في ابقاء موطنهم الأصلي في الذاكرة فأرادوا ان يتمسكوا ببعض سماته. لقد زادت أهمية المدينة منذ إنشاء ضريح الشيخ علي بن مبارك المتوفي سنة 1040هـ الموافق 1631م. تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف أوقاف سيدي علي بن المبارك في مدينة القليعة من خلال عينة أرشيفية منتقاة من وثائق المحاكم الشرعية. تستند الدراسة إلى وثائق الأوقاف المخصصة لجامع سيدي علي بن مبارك. تكشف

المعطيات التاريخية عن وجود نظام وقفي منظم يعتمد على التكافل الاجتماعي، مع مشاركة فاعلة للمرأة في تسهيل الأوقاف، وبنية إدارية محكمة تضم الأئمة والوكلاء. تخلص الدراسة إلى أن وثائق المحاكم الشرعية تمثل مصدراً أرشيفياً غنياً لإعادة تركيب تاريخ المؤسسات الوقفية المحلية، رغم التحديات المنهجية المتمثلة في قلة الوثائق الأرشيفية للمنطقة والدراسات المتخصصة.

الكلمات المفتاحية: الوقف، القليعة، العهد العثماني، المحاكم الشرعية، سيدي علي بن المبارك، الوثائق الأرشيفية، الجزائر.

Abstract

If the most prominent and widespread *waqf* foundations in Ottoman Algeria were undoubtedly those serving the Holy Cities of Mecca and Medina, the endowments tied to Sidi Ali ibn al-Mubarak carried no less weight in the city of Koléa. This is a place of remarkable historical depth and cultural distinction, yet—rather tragically—it has remained almost entirely overlooked by scholars, particularly when it comes to the Ottoman period.

Like so many other celebrated Algerian cities of that era, Koléa holds a history that deserves far greater attention. It was founded in 957 AH (1550 CE) by Hasan Pasha, son of the legendary Khayr al-Din Barbarossa, who ruled between 1544 and 1551. According to tradition, he settled a community of Andalusian refugees here—Muslims fleeing the terrors of the Spanish Inquisition—establishing the town of Koléa on a hillside near the coast, just west of Algiers, with lush and fertile plains stretching below.

It is hardly surprising that these exiles chose this spot. The landscape bore an unmistakable resemblance to Granada, and in their longing to keep the memory of their lost homeland alive, they naturally sought to preserve something of its spirit in the very ground beneath their feet. The city's importance only deepened with the establishment of the shrine of Shaykh Ali ibn al-Mubarak, who died in 1040 AH (1631 CE).

This study sets out to examine the *waqfs* of Sidi Ali ibn al-Mubarak in Koléa through a carefully selected sample of archival documents drawn from the records of the Shari'a courts. Drawing specifically on *waqf* deeds pertaining to the Jami' of Sidi Ali ibn al-Mubarak, the evidence points to a well-ordered system of pious endowment

rooted in social solidarity. It reveals, moreover, the active role women played in dedicating property, and a tightly knit administrative structure of imams and custodians who oversaw these foundations. In conclusion, the Shari'a court records emerge as an extraordinarily rich source for reconstructing the history of local *waqf* institutions, even if the scarcity of surviving documents for this region and the dearth of specialized studies continue to present serious methodological challenge

Keywords: Waqf, Koléa, Ottoman Period, Shari'a Courts, Sidi Ali ibn al-Mubarak, Archival Documents, Andalusian Refugees, Algeria.

مقدمة

تُعدّ مؤسسة الوقف من أبرز المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والدينية التي عرفها المجتمع الجزائري خاصة خلال الفترة العثمانية (1519-1830م)، حيث تحوّلت إلى قوة اجتماعية تكافلية وتنموية. وفي هذا السياق، تبرز مدينة القليعة كنموذج متميز لدراسة الأوقاف المحلية المرتبطة بالطرق الصوفية، وعلى رأسها زاوية سيدي علي بن المبارك)، التي تأسست عام 859هـ/1455م وتنتهي إلى الطريقة القادرية. تكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها تستند إلى وثائق المحاكم الشرعية، التي تُعدّ من أهم المصادر الأرشيفية الأصيلة ذات البعد المحلي، إذ تتضمن معاملات يومية تشمل الزواج والطلاق والأوقاف والبيع والإجارة.

غير أنّ هذه السجلات لا تزال بحاجة إلى التصنيف والفهرسة والنشر العلمي لتمكين الباحثين من الاستفادة المرجوة منها.

تتمحور حول مدى مساهمة وثائق المحاكم الشرعية في إعادة تركيب تاريخ الأوقاف المرتبطة بزاوية سيدي علي بن المبارك في القليعة خلال الفترة العثمانية، وما الذي تكشفه هذه الوثائق عن البنية الاجتماعية والاقتصادية للمدينة؟ ما مكانة وأهمية ضريح علي بن المبارك في المدينة وخارجها؟ ما هي أهمية وثائق التحسيس وبشكل خاص وثائق المحاكم الشرعية في تحديد هذه المعالم؟ ماهي الفئات الاجتماعية التي استقرت في القليعة؟ وما هو مستواها الاجتماعي؟

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لوثائق المحاكم الشرعية، مع الاستعانة بالمنهج التاريخي لإعادة تركيب السياق الزمني والمكاني للأحداث.

1- الإطار التاريخي والمؤسسي

1-1: التعريف بالمدينة وموقعها

تقع مدينة القليعة على بعد 42 (berard, s.d) كلم غرب مدينة الجزائر، تطورت هذه المدينة عبر أزمنة تاريخية مختلفة تبين لنا مدى عراقتها وأهميتها التاريخية والجغرافية.

عرفت المدينة بـ **Le cou du chameau** لعنق الجمل لوقعها على هضبة تشبه رقبة الجمل وبالتالي فموقع المدينة جعلها محصنة طبيعياً، كما أنها محاطة بسور ومعززة ببرج ما تزال بعض أجزاءه قائمة إلى يومنا هذا ولهذا نجد أن اسم القليعة² مستمد من كلمة القلعة ولكن تم تصغير الكلمة لتصبح اسمها القليعة **Le petit fort** وهي كلمة عربية خالصة ويقال إن نفس الاسم موجود في إحدى المدن في غرناطة.

إن الخرائط التي أعدتها القوات الاستعمارية الفرنسية أثناء الاحتلال تبين إن المدينة كانت تسمى في العهد الروماني بـ ¹(Shaw, 1743) **casae calventi** حيث تم العثور على الآثار الرومانية في مدينة القليعة وتعني الكلمة الكوخ الأصلع **Les huttes du chauve**، وكانت تقع هذه المدينة على الطريق الرئيسي الروماني الذي كان يضم القليعة وشرشال وبجاية.

كانت تضم في العهد الروماني منازل قليلة، ولكن لم ترقى إلى مستوى المدينة ولم تكن أيضاً مستعمرة **Colonia Brèves** بل كانت مكان للمراقبة والتحصين، كما كانت منطقة دفاعية.

2-1: المدينة في العهد العثماني³

باستثناء ما ذكر الرحالة حسن الوزان الذي كتب عن المدينة فإن مصادر التاريخية بالعهد العثماني لا تكاد تتعرض حتى لاسم هذه المدينة، فقد اكتفى أحمد الشريف الزهار (الزهار) 1974 (بالقول إن مؤسسها هو حسن باشا⁵ وأنها شيدت لإيواء الأندلسيين المهجرين، أما ليسبس Lespes فقد ذكر أن من المدن التي تم إحيائها

في منطقة مازگران ذلك الوادي الذي يبعد عنها ببعض الكيلومترات من جهة الجنوب الشرقي (Lespes, 1930).

أما مارمول المؤرخ الاسباني فقد لقبها بمدينة المهاجرين الأندلسيين وذكر أنها مدينة بناها حسن باشا من زمن قريب على بعد حوالي 5 فراسخ من وادي الزعفران وعلى فرسخين من عمق البلاد وعلى جانبي النهر في هذه الجهة غابات شاسعة من الأشجار المثمرة من أشجار التوت وإن في المدينة أكثر من 300 عائلة من المسلمين الذين هاجروا من قشتالة والأندلس ومن أهل الثغور من مملكة بلنسية وإن هذه المستوطنة تزداد يوما بعد يوم لأن البلد خصب كثير القمح والماشية وفيه جميع أنواع الفواكه كما في أوربا. (Marmol, MCCLXVII)

وقد يكون لاختيار موقعها هدف سياسي وإداري عند مؤسسها الباشا حسن يتمثل في اتخاذها وسيلة لتمديد نفوذه نحو المدن الجديدة الأخرى مثل شرشال وتنس، وركيزة لسلطانه في المنطقة لمواجهة القبائل البربرية بجبال شنوة التي كانت تتحرش دوما بالأندلسيين منذ وصولهم إلى المنطقة.

كما كتب موران Morin أن القليعة كانت عبارة عن قرية وهذا ما رصدناه في جل الوثائق الوقفية حيث تذكرها بهذه العبارة داخل قرية القليعة أو خارج قرية القليعة، لا يتجاوز عدد سكانها 1500 نسمة ويعتمد أهلها أساسا على الزراعة و عليه لاحظنا من خلال الوثائق أن أغلب العقارات المحبسة كانت عبارة عن أراضي فلاحية و بساتين ، و يكون عمرانها قد انطلق من الأنشطة الزراعية كما يبينه لنا نسيجها الحضاري، فشوارعها المنحدرة والمتعامدة توجي بكون القسائم الأرضية كانت تستعمل للزراعة قبل أن تتحول إلى مساكن و إن تلك الشوارع كانت بالتالي سواقي أملاها نظام التوزيع المائي. ويكون هذا النظام الفضائي البدائي صورة لما كانت عليه الحياة الجماعية القروية حيث يعيش كل فرد على جهده الفلاحي الخاص وحصته من الماء). حموش، (الزهارة، 1974))

يجدر الإشارة للدور الهام الذي قام به الأندلسيون في تطور الشبكة المائية للمدينة فهم من استغل مياه الآبار وبعض العيون لري البساتين وتزويد المدينة بالمياه، كما استغلوا مياه وادي مازافران (الزعفران) في ري البساتين.

3-1- التعريف بضريح سيدي علي بن المبارك

الدكتورة: صليحة بوزيد

يقع ضريح² سيدي علي بن مبارك في أقصى مدينة القليعة، يحده شرقا المسجد المنسوب الي هذا الولي، ومن الجهات الأخرى المتبقية المستشفى، دفن بهذا الضريح أفراد عائلة سيدي علي ومنهم أحد أحفاده الأبطال في المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي وهو ابن علال بن مبارك خليفة الأمير عبد القادر بمليانة المتوفي سنة 1843م.

أما عن تاريخ بناء الضريح فلا نعرف تاريخ بنائه وما تزال الإشكالية مطروحة إلى يومنا هذا، لكن عثر على العديد من الوثائق التي تتحدث عن تجديده وترميمه خاصة بعد زلزال عام 1825م مثلما يؤكد هذا النص {وفي سنة 1217هـ وقعت زلزلة في الجزائر وعمالتها في اليوم الحادي عشر من رجب وكان يوم أحد، في وسط النهار، وتهدمت قرية القليعة ومات بها خلق كثير تحت الهدم، ولم بلغ خبرها للأمير مصطفى باشا.....أمر بإعادة بناء جامع سيدي علي بن مبارك حيناً، ومنارته، والزاوية {}. الزهار، 1974) وقيل بان هذا الزلزال دمر المدينة عن آخرها باستثناء الضريح الذي ظل صامداً، مما زاد في اعتقاد الناس ببركات سيدي علي بن المبارك وكرماته. كما أنقص سكانها فلم يعد يتجاوزون عدة آلاف.

وعثر على وثائق تعود الي سنتي 1903-1904 بها تكاليف ومواد البناء التي جلبت إلى الضريح لترميمه من طرف أحفاد الوالي والسلطات الاستعمارية التي أولت اهتمامها بهذا الضريح لكسب ثقة الأهالي وعلمها بتعلقهم بالأولياء الصالحين، كما كان الضريح ملجأً للثوار والهاربين من العقاب والقتل.

4-1- التعريف بصاحب الضريح والبنية الإدارية للجامع

ولد سيدي علي بن مبارك سنة 954هـ الموافق 1556م من قبيلة الحشم² بجنوب المغرب الأقصى (Couvét, 1923) ، و هناك من يقول بأنه جاء من غريس جنوب مراكش و آخرون يؤكدون انه جاء من الساقية الحمراء، و فئة أخرى تقول انه جاء من السوس الأقصى بمعية والده سيدي مبارك وأمه لالا روبة قاصدين مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، فمروا عبر وجدة و تلمسان ومعسكر ومازونة والشلف، وأقاموا مدةً طويلة عند العالم سيدي محمد بن علي في زاويته المشهورة الواقعة بالقرب من تنس ، تعلم ابنهما خلال إقامته العلوم الإسلامية و علوم أخرى إلا أن تمكن من هذه

العلوم ، فتابعوا المسير نحو مكة المكرمة، بمرورهم بعين السلطان بنواحي الشلف توفي والده و دفن هناك ، حينئذ واصل سيدي علي بن مبارك مع أمه السفر إلا أن وصلا إلى بواسماعيل و التي تبعد ب 9 كلم عن القليعة و كان ذلك حوالي 1009هـ الموافق ل 1601م و كان في الخامسة و الأربعين من عمره. وبما أن القليعة كانت تأوي عددا من اللاجئين الأندلسيين الذين كانت لهم سمعة ثقافية ودينية جلبت إليهم طلب العلم وكان علي بن مبارك واحداً منهم، وعند استقراره في القليعة عمل أجيروا {خماسا} عند مالك لأرض اسمه إسماعيل بن محمد (الصادق، 1964)، فلاحظ هذا الأخير في علي بن مبارك عدة كرامات فأكرمه وقربه منه. لقد ذهب العامة في تعلقها به إلي حد نسج الكرامات حوله مثل اعتقادهم بان سيدي علي مبارك كان يتحول إلي أسد عندما يكون غير راضي عن تصرفات أحد أتباعه.

و هكذا ذاع صيته في سهل متيجة و هرع إليه الناس بهداياهم ، ثم دفنت والدته و دفنت ببواسماعيل ، و علي إثرها قرر سيدي علي بن مبارك الاستقرار في مدينة القليعة أين أسس بها زاويته المشهورة لتدريس القرآن و الفقه و التوحيد ، كما كانت تستقبل حوالي أربعة مائة طالب من مختلف المناطق، فاكتملت بذلك القليعة سمعة المدينة المقدسة و أخذت تسمية المدينة و كثروا زوارها و من بينهم حكام مدينة الجزائر حتى أنهم أعفوا المدينة من دفع الضرائب، توفي الشيخ سنة 1040هـ الموافق 1631 و داخل الزاوية كان قبره و ما يزال إلي الآن يحظى بالتقدير لدى السكان، و قد لاحظ الفرنسيون ذلك عندما احتلوا القليعة ، فقد التف سكان منطقة متيجة حول واحد من أحفاده و هو علال بن المبارك و ابنه محمد بن علال الذي ألقى القوات الفرنسية القبض عليهما ، تم اضطرت لإطلاق سراحهما سنة 1832م حسب ما تؤكد العديد من المراسلات بين السكان و الحاكم الفرنسي. (Reynaud, 1934)

الدكتورة: صليحة بوزيد

الواقف	مكان الوقف	نوعية الوقف	طبيعة الملك	السنة
القايد مرزوق بن علي بن عمش المازوني	داخل قرية القليعة	دار	ملك	1103هـ
الولية حسنى بنت دادا الصياد يولداش	داخل قرية القليعة	دار	ملك	1179هـ
عزيزة بنت احمد بن سي اممر	داخل قرية القليعة	الثلاث الواحد من الدار	ملك	1221هـ
حسن بن بالي القليعي	داخل قرية القليعة	نصف دار	ملك	1193هـ
محمد بن العالم العلامة السيد علي بن الفقيه الاجل السيد عيسى بن القاضي	قرية القليعة	جميع الربع الواحد الرحا	الاشاعة بعد ان استفتى في ذلك العلماء	1116هـ
محمد الصابونجي	داخل قرية القليعة	دار	ملك	1231هـ
بلقاسم بن السيد علي الفخار	قرية القليعة	دار	ملك	1225هـ
محمد الشريف	خارج مدينة القليعة	جميع البستان	شراء من محمد يلداس	1216هـ
القاضي السيد محمد ابن معمر	داخل القليعة	دار المعروفة بدار علي بن زيان	ملك	1222هـ
الطاوس زوجة الزموري الانجشاري	داخل القليعة	دار	الارث من امها	1128هـ
مولود ابن مبارك ابن الجيلالي	قرية القليعة من وطن بني خليل	دار	الابتياح الصحيح	1134هـ

1103هـ	الارث	دار	داخل قرية القليعة	اشترك بين الاخوين عمر بن السعد واخته الكبيرة في السن فاطمة
1127هـ	ملك	دار معروفة في القديم بدار بودقرا	قرية القليعة	الولية خديجة بنت اعمر بمحضر بعلمها المعظم السيد محمد وكيل ضريح سيدي علي بن المبارك
1149هـ	ملك	دار	داخل قرية القليعة	الحاج العربي ناصر علي المازوني
1126هـ	ملك	دار	داخل قرية القليعة	الزهرا بنت السيد احمد بن العيشي
1107هـ	ملك	دار	داخل قرية القليعة	ملج بنت سليمان
1165هـ	ملك	الحانوت	داخل قرية القليعة	القاضي الجليل السيد محمد ابن معمار
1197هـ	ملك	البحيرة	بفحص قرية القليعة	الاشترك بين الحاج علال نجل الولي العالم سيدي علي بن مبارك و المكرم أحمد حاجي التركي
1135هـ	ملك	جميع المقسم	موطنا قرية القليعة	علي بن مرحم القليعي

ويجدر الإشارة أيضا أن الورثاني في كتابه نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والإخبار قد ذكر الشيخ وأثنى عليه وعلى فضائله (الورثاني، 1908). ومن خلال ما ذكر نستنتج المكانة الدينية المتميزة التي حظي بها الشيخ ونفهم سبب انتشار أوقاف سيدي علي بن مبارك بهذا الكم الهائل في القليعة وخارجها.

1-5 البنية الإدارية للجامع

تعاقب على جامع سيدي علي مبارك عدة أئمة ووكلاء، منهم:

- محمد بن محمد المجاري (إمام وكاتب للوقف)

- محمد الهبطي (إمام وكاتب للوقف)

- محمد بن عيسى (وكيل للجامع)

- الحاج عابد والسيد عبد القادر الربع (وكلاء ضريح الشيخ

كما ورد في وثيقة تاريخية ذكر محمد العموري بصفته مفتي المدينة، مما يدل على وجود هيئة إفتاء محلية في القليعة.

2- دراسة عينة أرشيفية حسب العينة (وثائق أوقاف المحاكم الشرعية في

الأرشيف الجزائري

يتضح لنا من خلال هذه العينة، التعايش الاجتماعي في هذه المدينة من قبائل محلية من متيجة مثل المازوني والقليعي، ومن جماعة الاتراك أمثال حاجي التركي و من الأندلسيون منهم حسن بن بالي و الصابونجي هذه الحرفة ارتبطت بالصناع الأندلسيين الذين استحضروا أنواعا عديدة من العقاقير و استخلصوا المياه المقطرة من الورود و زهور اللارنج و التي ما تزال قائمة إلي يومنا هذا ، و من العلماء أمثال القاضي محمد بن عيسى، و لا ننسى دور المرأة المتميز في عقود التحسيس

الخاصة بالقليلة من بينهن حسنى بنت دادا الصياد يولداش الولية طاولس زوجة الزموري الانجشاري و ملج بنت سليمان و غيرهن.

ولا يمكننا إهمال دور الجماعات الحرفية في المدينة ونلمح ذلك في وقفية بلقاسم بن علي الفخار، هذه الحرفة التي تطورت مع الوجود الأندلسي في المدينة، ونشير أيضا أن المدينة عرفت حرف جديدة بفضل التواجد الأندلسي، فقد اشتهرت المدينة بأنواع رفيعة من الحرير نظراً لانتشار زراعة التوت وتربية دودة الحرير في المدينة، كما انتشرت أصناف جيدة من المخمل (القطيفة) velours، كما ظهرت حرفة التطريز (الشبيكة) من الحرف الراقية التي كانت تمارس حسب الطرق المتبعة في بلنسية وغرناطة.

وعليه نستنتج بان الأندلسيين الذين استقروا في المدينة كانت غالبيتهم تتألف من الفلاحين والتجار وأصحاب المهن والصناع، حيث صنفوا من جماعات البحارين (Maraichers) يشتغلون في البساتين والحدائق.

2-2/ المذهب المختار:

انتشار الوقف في الجزائر انتشارا واسعا في الفترة الحديثة وهذا بالتواجد العثماني في البلاد لإدراجهم المذهب الحنفي في الحياة القضائية، وهذا راجع لتسهيلات التي أقرها هذا المذهب وخاصة تلك المتعلقة بالحوز والقبول كما يعود هذا القبول لاعتبارات هامة أهمها إقرار هذا المذهب حق انتفاع الواقف مدة حياته وأهله وورثته، كما يسمح هذا المذهب بإقصاء عقب البنات من النسل الأول¹ وبهذا يحفظ الأملاك في الأسرة الواحدة وتحرم بذلك المرأة من الانتفاع خاصة عندما تخرج من العائلة عند زواجها.

وعليه فان اعتمد المذهب الحنفي في إبرام العقود كانت يحدث بين الأسر الحنفية وحتى المالكية وهو ما كان يفعله حتى العلماء وهذا ما لاحظناه في حالة محمد الحاج نجل الشيخ البركة علي بن المبارك في 1199هـ حيث أوقف جميع الدار الكائنة داخل قرية القليعة مقلدا في ذلك بعض الأئمة الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان¹.

وما لاحظناه في بعض العقود تحبيس على النفس مباشرة بينما البعض أقدم على طلب فتاوى من العلماء لإقامة الوقف فلدينا حالات كثيرة منها تذكر على سبيل المثال وقفية محمد بن العالم العلامة السيد علي بن الفقيه الاجل السيد عيسى بن القاضي

والحالة أن الرجل المذكور مالكي المذهب فهل يسوغ له ذلك على المذهب الحنفي وكان الجواب انه يسوغ له ما رامه من التحبيس².

2-3 طريقة انتقال الملكية

كانت مظاهر الإقبال على الوقف كثيرة ومتعددة، كما تعددت الأطراف الواقفة التي لم تقتصر على فرد دون آخر وإنما كان يشمل الأفراد جميعا، من زوج وزوجة وأولاد، ولم يكن ذلك الإقبال فردي وإنما بشكل جماعي، كأن يكون بين زوجين أو بين الأولاد أو ما يسمى بالاشتراك مثل اشتراك الأخوين مصطفى بن علي وشقيقته فاطمة. وعليه فان الوقف امتاز بخاصية منفردة تمثلت في الملكية الأسرية بعنبره أحد وسائل نقل الملكية بين أفراد الأسرة الواحدة وبشكل خاص من الآباء نحو الأبناء وأبناء الأبناء على امتداد النسل، حيث أن الواقف هو الذي يحدد الأشخاص التي تنتقل إليهم الأملاك، ولهذا فقد يكون هؤلاء الأشخاص من داخل الأسرة أو خارجها عكس الميراث¹ الذي تعود الأملاك فيه وفقا لأحكام محددة شرعا في الكتاب والسنة. وبهذا فان الملكية لم تكن تنتقل بواسطة الوقف بشكل واحد، وإنما بأشكال مختلفة حسب طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والأسر. نستنتج في الأخير أن الوقف لم يكن يخص فئة اجتماعية دون أخرى، وإنما كان عملا تقوم به أغلب الفئات بمختلف فئاتها ومستوياتها، فقد وقف الرجال كما وقفت النساء، ووقف الحكام وأصحاب المهن والعلماء والجيش، كما أوقفت العقارات الكبيرة شأنها شأن العقارات الصغيرة وأجزاء من العقارات (جلسة الحانوت) وعقود المحاكم الشرعية مليئة بالنماذج حول ذلك كله، وقد ذكرنا جزءا منها في هذا المداخلة لنبرهن على ذلك.

4- الخاتمة:

ولهذا نستنتج من خلال وثائق الأوقاف واقعا اجتماعيا يعكس لنا صورة عن المجتمع بين أفراد الأسرة الواحدة في القليعة، ويظهر لنا أشكال مختلفة لعملية انتقال هذه الأملاك بحسب درجة الاستفادة أو الحرمان اللذين يحددهما الواقف. نود أن نشير أيضا أن من خلال وثائق الأوقاف لمحنا شعور أهالي الأندلس في القليعة وغيرها الشعور بالغربة عن المكان، وعبروا عن ذلك باتخاذهم موقفا متحفظا قد

يفهم منه نوع من الترفع عن باقي السكان وأسسوا بذلك طائفة يمكن أن نطلق عليها طبقة برجوازية في القليعة، كما يمكننا القول بأنها جماعة انغلقت عن المجتمع. خلصت هذه الدراسة إلى أن أوقاف سيدي علي بن المبارك في مدينة القليعة شكّلت جزءاً مهماً من البنية الاجتماعية والاقتصادية خلال الفترة العثمانية. وقد أتاحت وثائق المحاكم الشرعية رصد نماذج أصلية لهذه الأوقاف، تعود إلى أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر الميلادي، تكشف عن تنوع الواقفين (رجال ونساء) وتعدد طبقاتهم الاجتماعية، كما شهدت مرونة الصيغ الوقفية التي تجمع بين الانتفاع الشخصي والمنفعة العامة. بالإضافة إلى تنظيم إداري محكم للجامع عبر الأئمة والوكلاء والمفتين.

وتبقى هذه الدراسة خطوة أولى نحو استكشاف أرشيف أوسع، يتطلب الاطلاع المباشر على سجلات المحاكم الشرعية المحفوظة في الأرشيف الوطني الجزائري (خاصة عليتنا 104-105 المتعلقة بالقليعة).

فهرس الصور والخرائط



مسجد القليعة



الموقع الجغرافي للقلعة



ضريح سيدي علي بن مبارك

الهوامش

¹ كتبت كلمة القليعة بالفرنسية بعبارات مختلفة فكانت على الشكل التالي: coléah –

coléa– koléah– koléa

² Thomas Shaw, voyage dans plusieurs provinces de la barbarie et du levant, volume 1, Édition Neaulme, Paris ,1743, p 123

³ مدينة القليعة هي مدينة أندلسية خالصة التي ظلت تحافظ على الطابع المورييسكي الأندلسي الأصيل منذ أن انشأتها جماعة من المدجنين mudéjares من مقاطعة قشتالة ونواحي غرناطة، وقد أمكن لهذه الجماعات المدجنة أن تفرض نفوذها وتحافظ على تماسكها، كما توسعت المدينة بعد أن توافدت إليها جماعات الثغرين من إقليم بلنسية خاصة حتى أصبحت تضم ما لا يقل عن خمسة آلاف منزل وزاد عدد سكانها عن الثلاثين ألف في بداية القرن السابع عشر.

⁴ حسان باشا هو ابن خير الدين بربروس، كانت فترة حكمه من 1544م الي 1551م

⁵ الضريح: لغة هو الشق في وسط القبر والحد في الجانب، ويقال الضريح القبر كله وجمعه

أضرحة، أما اصطلاحا فهو المكان الذي يدفن فيه ولي صالح او سلطان او شخصية معروفة،

ففي البلاد العربية يطلق اسم المقام وفي المغرب استعملت كلمة المربوط للدلالة على المدفن

والولي في ذات الوقت انظر: ابي الفضل ابن المنظور، لسان العرب، المجلد الثاني، بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1955م، ص 526

⁶ **الحشم:** تطلق في اللغة على خول الإنسان وعلى إتباعه وأهله وعبيده وجيرانه، ثم صار علما بالمغرب الأوسط، عمد أهلها الي ربطها باسم هاشم رغبة منهم في الانتساب الي النبي عليه الصلاة والسلام بواسطة جده. انظر: محمد حاج صادق، مليانة ووليتها سيدي أحمد بن يوسف، د. م. ج. ، الجزائر، 1964-، ص 135.

⁷ . تعطي المدرسة الحنفية حق الواقف إقصاء المنتفعون من الأولاد حيث ينتفع البعض ويحرم البعض خاصة من النساء. بينما المالكية تقول بأن كل المنتفعون لهم الحق وإذا أقيمت البنت فتعتبر الوقف باطلا كما ترفض المالكية أيضا القول بان المرأة عندما تتزوج تفقد حقها في الانتفاع هذا الحق هو جائز عند الحنفية. أنظر

Zeys, Droit Musulman. Page12

Ernest mercier, Le habous ou oukouf ses règles et jurisprudence, page 79.

Fernand Dulout, Le habous, pp 27-28

⁸ . سلسلة المحاكم الشرعية، العلبة 76 بدون رقم

⁹ . سلسلة المحاكم الشرعية، العلبة 76 رقم 61.

القائمة البيبليوغرافيا

berard, V. (s.d). *Indication general de l'algerie*. (s .m.d).

Brèves, G. B. (s.d.). *Monographies communales, les trois villages du sahel de koléa*. Récupéré sur [http/ alg-roi.fr. /Alger – son histoire /communes-villages-sahel](http://alg-roi.fr./Alger – son histoire /communes-villages-sahel)

Couvet, C. (1923). Les marabouts, petits monuments funéraires et votifs du nord de l'Afrique. *revue africaine*(1923), p. p 288.

Lespes, R. (1930). *étude de géographie et d'histoire urbaine*. paris: libraire Félix alican.

Marmol. (MCCLXVII). *L'afrique* (Vol. tome II). (t. :. d'ablancovrt, Trad.) paris.

Reynaud, P. d. (1934). *Annales algériennes* (Vol. , tome 1). Paris: Librairie Militaire,.

Shaw, T. (1743). *voyage dans plusieurs provinces de la barbarie et du levant* (Vol. volume 1). Paris: Édition Neaulme.

الحاج الصادق. (1964) *مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

الحسين بن محمد الورثلاني. (1908) *نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار*. الجزائر: مطبعة فونتانا،.

الزهار أحمد ا. (1974). *مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب الاشراف*. ت. أ. المدني , Trad.) الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

بن حموش, مصطفى. (1999). *المدينة والسلطة في الإسلام*. (éd.) ط1. (دبي: دار البشائر.